

الشاطر بصيلي عبد الجليل

المركتور عبد الرحمن زكى

ولد الفقيد في مدينة أسوان في ٢٩ ديسمبر ١٩٠١ ونشأ بها ، وحفظ صيبا أجزاء القرآن الكريم وتلقى العلم في مدارس المدينة إلى أن نال شهادة أهله لشغل وظيفة مؤقته بتفتيش الصحة بأسوان وبعد عامين في عمله هذا ، عين موظفاً في مصلحة سكة حديد السودان بوظيفة باشكاتب قسم في درجة تمهيدية وكان ذلك في فبراير ١٩١٩ . ومنذ تلك السنة ظل ينتقل بين مدن السودان ، شمالا وشرقا وغربا وجنوبا حتى عام ١٩٤٩ ، فأتاحت له السنوات الثلاثة والثلاثون التي أمضاها في سلك الإدارة المدنية في السودان فرصة ذهبية متنقلا بين ربوعه المختلفة والتعرف على مظاهر الحياة في صورها الواقعية ، وكان من نصيبه أيضاً أن عاصر مراحل تطور المجتمع السوداني في فترة من نهاية الحرب العالمية الأولى إلى بعد نهاية الحرب العالمية الثانية . وقد وجه الفقيد اهتمامه من اللحظة الأولى التي دخل فيها السودان إلى دراسة تاريخية مرجعاً بعد مرجع وكانت حينذاك قليلة في اللغة العربية ، كثيرة في اللغات الأجنبية كما تابع مطالعة الدوريات والصحف وال نشرات ، وكان يقابل ما يقرأ بما يجتمع لديه من الدوريات والوثائق الخطية التي يحتفظ بها أهل السودان ، إلى تحقيق ما كان يكتب عن تاريخ المدن والقرى ، وهكذا أخذ في بناء مكتبة خاصة نمت مع مرور الزمن حتى أصبحت تتألف من أمهات المراجع في تاريخ السودان ، وكان إذا سمع عن وثيقة في دار كتب أوربية أو مخطوط في متحف ، اتصل بالمتخصصين لكي يعثروا إليه بنسخة منها .

ولما تقاعد عن عمله في مصلحة سكة الحديد السودانية عام ١٩٤٩ ، انتقل
 الفقيد مع أسرته إلى القاهرة وأخذ في ترتيب حياته الجديدة ، وكان معهد السودان
 في بداية مراحله التأسيسية وفي حاجة لبناء مكتبة تتناول مجموعاتها كل ما يتصل
 بالسودان : تاريخه وجغرافيته وأمله ومدنه ومجتمعه ، وسرعان ما وقع عليه
 الاختيار ليكون أميناً لمكتبة المعهد ، وكان ذلك في مارس سنة ١٩٥١ . ونعم
 كان هذا الاختيار الموفق ، فقد كان الفقيد رحمه الله ، ملماً باللغات الانكليزية
 والنوبية والفرنسية فضلاً عن إجادة اللغة العربية وظل زميلنا الأستاذ الشاطر
 يبنى مكتبة المعهد بهمة وصبر ويجمع لها النادر من المراجع في شتى اللغات ومن
 الأطلال والوثائق وكان يساعده على ذلك ، معرفته بطائفة من دور النشر
 البريطانية والمكتبات المتخصصة ، فضلاً عن عدد كبير من أصدقائه البريطانيين
 الذين خدموا في حكومة السودان خلال المدة التي عاشها هناك ، وظل
 في عمله أميناً لمكتبة المعهد حتى عام ١٩٦١ ثم جددت خدمته في نهاية العام
 المذكور لمدة عامين . وفي عام ١٩٦٣ انتقل إلى حياة الدراسة الحرة
 لأنه بطبيعته لا يعرف الراحة ، وواصل دراساته كعادته وفي الوقت نفسه
 كان يجيب على طلاب المعرفة عما يسألونه عن مشكلات تاريخ السودان
 وما جاوره .

أولى دراسات الفقيد التاريخية

وفي عام ١٩٤٥ أثناء عمله بمصلحة السكة الحديدية السودانية بوادى مدني ،
 أهداني نسختين من دراسته السودانية وكانت باللغة الانكليزية ، نسخة
 أهداها لأستاذنا المؤرخ المغفور له محمد شفيق غربال ، والنسخة الأخرى لي ،
 وهنوانها :

« التأثير الإغريقي في وادى النيل الأزرق مع مسح للخلفية التاريخية ،

وتناول في دراسته الموجزة ، تلك ، كثيراً من المواقع الأثرية البطلمية

المتناثرة بالسودان - كيمو (سيرو) شمال أم درمان ، ورودس جنوب الخرطوم، بالقرب من محطة المساعيد على الشاطئ الايمن للنيل الأزرق ، وبارانكو جنوب الخرطوم وتانوبا غرب الحصا عيسى وماسورين مقابل وادى مدنى، وحنطوب أيضاً ، وقاينو جنوب وادى مدنى ، العوينات هندا الحدود الجنوبية الليبية غرب دنقلة وغير ذلك من المواقع التى تدل على أصالتها النوبية . وهكذا أبان لنا فى دراسته تلك تراث الشعوب ذات التأثيرات المتنوعة وحركات تلك التأثيرات وخاصة فى وادى النيل الأزرق . وبعضها اتجهت شرقاً إلى ساحل البحر الأحمر .

وقد أوجز الأخ الشاطر بصيلى الهدف الذى كان يرمى إليه ألا وهو :

القيام بعمل قاموس جغرافى لمنطقة النيل الأزرق وهذا المقصد العلمى النبيل وإن كان لم ير النور ، غير أننا نرى أثره واضحاً فى تحقيقاته العلمية فى هوامش كتابه :

« معالم تاريخ السودان وادى النيل ،

كلمات عن مؤلفات الفقيد

تاريخ المواصلات فى السودان وادى النيل (القسم الأول حتى عام ١٩٠٦)

كان من الجلى جداً وقد خدم الفقيد طوال حياته فى مصلحة السكك الحديدية والبواخر السودانية منذ عام ١٩٢٤ حتى عام ١٩٥٠ أن يؤرخ لهذه المؤسسة المصرية التى اعتمدت عليها عمليات استعادة السودان (١٨٩٦ - ١٨٩٩) حريياً ، ثم اقتصادياً للأخذ بيد السودان فى أعقاب ما لحق به من الخراب فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر . كانت المكتبة العربية تفتقر إلى مؤلف عن تاريخ المواصلات وتطورها فى السودان ، فأقدم على ملء هذا الفراغ بروح لا تعرف الملل . وقد وجد مادته الأولى فيما كتب من المواصلات السودانية

في الأوامر العسكرية والمجلات الأجنبية وبعض الكتب وفي طلبتها المهندسون
الملكيون في مصر والسودان لمؤلفه المقدم ساندس (١) .

فبدأ المؤلف كتابه عن المواصلات النيلية وتطورها في أيام الوالي سعيد
باشا منذ زيارته للسودان ، وفي أثناء حملة صمويل باكر باشا سنة ١٨٦٩ ، وفي
أيام الحاكم البريطاني غوردون باشا سنة ١٨٧٧ ، وأخيراً في عمليات الحملات
العسكرية بين عامي ١٨٨٤ و ١٨٩٩ . . . وما بعدها والمعروف أن مصر
كانت قد أنشأت سكة حديدية بين أسوان والشلال لنقلات حملة ١٨٨٤ ،
١٨٨٥ . . .

الآثار العلمية

سنحاول على قدر لإمكان بما وصل إليه علمنا أن نتناول الآثار العلمية
المطبوعة اصد يقا العالم النقيد الشاطر البصلي عبد الجليل وأول ما نلاحظه انه
كتبها قبل كل شيء في إطار ترويج السودان القطر الشقيق الذي أمضى فيه معظم
حياته أو في الإطار الأكبر تاريخ شرق أفريقيا . وبحوثه هذه أو تلك تشملها
إما مقالات في الصحف والمجلات المتخصصة ، أو محاضرات في دار الجمعية
المصرية الدراسات التاريخية أو كتب .

ولنبدأ بكتابه التاريخ التي بدأها في عام ١٩٣٦ .

١ - الكتب

١ - على أطلال مدينة سن النار (سنار) - القاهرة ١٩٣٦ .

٢ - The Greek influence in the Blue Nile valley, with
a survey of the historical background.

Royal Engineers in Egypt and Sudan — Lieut — (١)
Colonel Sandes.

التأثير الإغريق فى وادى النيل الأزرق مع مسح للخلفية التاريخية -
كتب مقدمة الكتب (ص ٣١) عالم الآثار البريطانى مسترأ - ج . آركل -
وادمدنى ديسمبر ١٩٤٥ .

٣ - الدويلات الإسلامية فى السودان وادى النيل (القسم الاول حتى
عام ١٩٠٦) ، القاهرة ١٩٤٩ / ١٩٥٠ ، كتبه أثناء خدمته فى ههارة (السودان)
يشتمل الكتاب على بيليوغرافية جيدة فى نهاية الكتاب .

٤ - السلطان راجح الزبير . القاهرة د . ت . ١٩٥١ .

٥ - معالم تاريخ السودان وادى النيل (من القرن العاشر إلى القرن التاسع
عشر) كتب مقدمة الكتاب الأستاذ محمد شفيق غربال ، ٣٠٨ ص ، القاهرة
١٩٥٥ - يشتمل على بيليوغرافية هامة .

٦ - تحقيق مخطوطة : كاتب الشونة فى تاريخ السلطنة السنارية والإدارية
المصرية جمعها وكتبها أحمد بن الحاج أبو على كاتب الشونة - راجعها الأستاذ
د . محمد مصطفى زيادة . القاهرة ١٩٦١ . بالكتاب بيليوغرافية هامة .

٧ - تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط من القرن السابع إلى
القرن التاسع عشر للميلاد - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢ ،
يدرس كل فصل بيليوغرافية هامة .

٢ - المقالات والمحاضرات

مجلة الجمعية التاريخية

١ - السودان وادى النيل والإسلام . المجلد ٢ عدد ٢ عام ١٢٤٩ من

٢٩ - ٥٣ .

٢ - تحقيق أسماء القبائل والبدنات والشيوخ والحباية الواردة في تقرير الكولونيل ستيوارت (١٨٤٥ - ١٨٨٤) ، المجلد ٣ عدد ١ عام ١٩٥٠ ، حتى ١٨٥ - ١٩٧ .

٣ - الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال في المحيط الهندي ، المجلد ١٢ عام ١٩٦٤ / ٦٥ ، ص ١٢٩ - ١٤٠ .

٤ - السكرية ، عام ١٩٦٧ ، المجلد ١٣ ص ٢١٧ - ٢٢١ .

٥ - نقد كتاب ج . ن سندرسون

ص ٣٧٨ - ٣٨٠ مجلد ١٣ ص ٣٧٨ - ٣٨٠

٦ - نقد كتاب - ا . ب ثوبولد

المجلد السابق ، ص ٣٨١ - ٣٨٤

٧ - ملكة موريثانيا المصرية ، محاضرة ألقيت بدار الجمعية التاريخية مساء ٦ نوفمبر ١٩٦٧ ونشرت بعد والمحاضرات العامة - عام ١٩٦٨ ، ص ١ - ٨

٨ - السلطنة الفونجية الإسلامية في السودان وادي النيل ، المجلد ١٨ ، عام ١٩٧١ ، ص ١٧٩ - ١٩١ .

٩ - طائفة من المقالات عن الأعلام السودانية : راجح الزبير ، والصاغ هلى جيمون ، واللواء آدم باشا العريق في مجلة مصر والسودان خلال هامى ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ .

١٠ - طائفة من المقالات في صحيفة وطنى المصرية عام ١٩٦٢ .

١١ - إضافات تاريخية في بادة السودان الحديث التي نشرت في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة القديمة) .

مجلة نهضة أفريقية

ولما صدرت المجلة الشهرية نهضة أفريقية في شهر نوفمبر ١٩٥٧ اتجه عالمنا الشاطر بكل حمة بمدّها بمقالاته الممتعة . وكانت صفحاتها في الواقع متنفسا له يقدم كل شهر إلى قرائها مطالعة في شتى الأفريقيات .
فن أهم ما نشر له :

١ - مقال حميد بن محمد بن جمعة المرجي (المعروف بتيوتيب) (١٨٣٤- ١٤ يونيو ١٩٠٥) ، عدد ١ نوفمبر ١٩٥٧ ص ١٠ - ٢٠ وذيله بثبت المراجع العربية والأجنبية وأرفق المقال بموجز باللغة الأنكليزية (ص ٢١ / ٢٢) وخريطة .

٢ - نقد ومراجعة كتاب مستقبل أفريقيا السياسي وتاريخ شعوب القارة الحديث - عدد ٢ ديسمبر ١٩٥٧ ص ٥٠ - ٥٣ .

٣ - السياسة البريطانية في قلب أفريقيا (١٨٤٤ - ١٨٩٩) ، عدد ٤ - فبراير ١٩٥٨ ، ص ٤٦ - ٥٦ .

٤ - ابن بطوطة وشرق أفريقية ، عدد ٥ مارس ١٩٥٨ ، ص ٩ - ١٤

٥ - ابن بطوطة وشرق أفريقية ، عدد ٦ أبريل ١٩٥٨ ، ص ٤٠ - ٤٤

٦ - مهدي الصومال ، القاضي محمد بن عبد الله حسن ، (١٨٧٠ - ١٩٢١) ، عدد ٧ مايو ١٩٥٨ ص ٢٩ - ٣١ .

٧ - غانه في دراسات العرب ، عدد ٨ يونيو ١٩٥٨ ، ص ١٤ - ١٥

٨ - دويلات عربية على الشاطئ الإفريقي ، عدد ١٠ أغسطس ١٩٥٨
ص ١٥ - ١٩ وخريطة .

٩ - تاريخ الزنج ، عدد ١١ سبتمبر ١٩٥٨ ، ص ٣٩ - ٤١ .

١٠ - ألف باء الصومالية - عدد ١١ سبتمبر ١٩٥٨ ، ص ٧٥ - ٧٧
وترجمة المقال باللغة الانكليزية .

١١ - ألف باء الصومالية - عدد ١٢ - ١٣ ، أكتوبر ونوفمبر
١٩٥٨ ، ص ٣٠ - ٣١ تاريخ الزنج (٢) - عدد ١٣ نوفمبر ١٩٥٨ ، ص
٥٧ - ٦٣ .

١٢ - الإسلام والثقافة العربية للدكتور حسن أحمد محمود - نقد كتاب ،
عدد ١٣ نوفمبر ١٩٥٨ ، ص ٧٥ - ٧٨ .

١٣ - تاريخ الزنج من الوثائق التاريخية ، عدد ٣ يناير ١٩٥٩ .

مؤلفات للفقيه العلامة لم تنشر

وما زالت مخطوطة

لقد ترك الفقيه عشرات وعشرات الدراسات التي لم يستطع طبعها وهي
لاشك تلتظر النشر . نحن في حاجة إلى التعرف عليها ، بيد أنني سأذكر لكم
بعض تلك الدراسات التي ذكرها الفقيه في نهاية كتابه معالم تاريخ السودان
وإدى النيل ، (ص ٣٠٩) .

١ - جغرافية السودان مترجمة عن التركيكية بالاشتراك مع الأستاذ

محمود نفعى .

٢ - السلطان راجح ترجمة عن الألمانية للكاتب أو بنهايم وترجمة إلى
الإنكليزية د . سلازك ، عربية وعلق عليه الفقيد .

٣ - هجرة القبائل السودانية إلى المجال الحيوى فى وادى النيجر
بالإنكليزية .

٤ - أصول سلطنته سنار بالإنكليزية .

٥ - القاموس الجغرافى لوادى النيل الأزرق .

